الأدب والفن في أسبوع

الأستاذ عباس خضر

في مؤتمر المجمع اللغوي

احتفل مجمع فؤاد الأول للغة العربية يوم الثلاثاء الماضي بافتتاح مؤتمره السنوي ، وهو الذي يحضره الأعضاء الأجانب ويستمر نحو شهرين ، واحتفى في هذا الحفل باستقبال عضوين جديدين هما الأستاذ محمد رضا الشبيبي والأستاذ خليل السكاكيني .

افتتح الاجتماع معالي الأستاذ أحمد لطفي السيد باشا رئيس المجمع بكلمة حيى فيها الأعضاء ورحب بالزميلين الجديدين ، ومما قاله أن المجمع يعالج مشكلات اللغة وقضاياها باعتباره هيئة علمية بحتة ليس من شأنها أن تنفذ قراراتها إلا ما يكون من عرضها على الهيئات العلمية ونشرها في المطبوعات والمجلات ، وأبدى معاليه السرور بما يلاحظ في المجتمع العربي من الدلائل على الرغبة في تقبل أعمال المجمع بقبول حسن .

ثم ألقى الأستاذ شوقي أمين ، بالنيابة عن كاتم سر المجمع ، كلمة أجمل فيها ما قام به المجمع من أعمال في العام الماضي وبرنامج العمل في هذا المؤتمر .

وبعد ذلك وقف الأستاذ عباس محمود العقاد فألقى كلمته في استقبال الأستاذ الشبيبي فقال : إنه يدخل هذا المجمع من أكثر من باب واحد ، لأنه شاعر ناقد باحث لغوي ناشر للعلم واللغة .

وعند ما تكلم عن شعره اكتفى بالعرض المجمل ، فوصفه بفصاحة اللفظ ونصاعة المعنى وسلامة العبارة ، وأنه ينظم الشعر في أغراض شتى ولا يقصره على غرض واحد ، وألقى أمثلة من شعره بدأها بأبيات قال إنها من قصيدة نونية

وقال الأستاذ العقاد : إن الأستاذ الشبيبي أعانه البحث الطويل في الأدب واللغة على تمييز الكلام وتصحيح النقد ، وأورد ما قال إنه جاء في مقدمته لديوان الحبوبي تعقيباً على مذهب بقراط وابن خلدون في تكوين الطبائع والأخلاق ، وهو « والذي أراه أن لاستعداد الفطرة والغريزة تأثيراً أكبر من تأثير البيئة والوسط ، ورب سماء صافية الأديم وضاءة المنظر ، وتربة جافة الهواء معتدلة الحرارة تنبت رجلا سمج الطبع والخلق . ورب إقليم شديد الحرارة قليل النور بليل الهواء يخرج رجلا سليم الطبع رقيق الشعور » .

وفي انصرافنا من الحفل قال لي صاحبي الشاعر العراقي الأستاذ ابراهيم الوائلي : إن الشبيبي لم يكتب مقدمة لديوان الحبوبي ، وإنما الذي كتب مقدمة هذا الديوان هو الشيخ عبد العزيز الجواهري ، وبظهر أن النص الذي أتى به العقاد مأخوذ من « العراقيات » ، وهي مجموعة تضم عشرة من شعراء العراق ، فيها ترجمة للحبوبي بقلم الشبيبي .

ثم قام الأستاذ الشبيبي فألقى كلمة طيبة في تحية المجمع وشكر الأستاذ العقاد . ومما قاله أن للشعوب العربية في هذه المرحلة من مراحل يقظتها مطالب ، ومن أحوج ما تحتاج إليه ائتلاف في الأرواح وتقارب في المشارب والأذواق ، وتجاوب بين العواطف والأفكار ، وهذا مطلب جليل لا يتيسر لنا إلا إذا جمعتنا من لغة العرب جامعة أدبية كبرى ، واعتصمنا من هذه الفصحى بحصن حصين ، وجدير بهذا الأدب العربي الحديث أن يرى عاملا فعالا من عوامل الإنشاء والبناء ، وخليق به أن يتغلب على غيره من العوامل المفرقة الهدامة .

وقد جرت تقاليد المجمع على أن يتحدث العضو الجديد في حفلة الاستقبال عن سلفه حديثاً مسهباً ، ولكن الأستاذ الشبيبي اكتفى بالإشارة إلى مكانة سلفه الأستاذ الكرملي وفضله ، واعداً بأن يعود إلى تفصيل الكلام عنه في فرصة أخرى .

ثم كان من قسمة الأستاذ خليل السكاكيني أن يقدمه الدكتور منصور فهمي باشا ، إذ كشف القناع عن ناحية قال إن الأستاذ السكاكيني لا يحب إثارتها ، ولذلك حذره من الإشارة إلى أي ناحية من جهوده الأدبية الضاربة في ماض بعيد ، ربما يستنتج منها مدى عمره المبارك المديد؛ وعلى رغم هذا التحذير مضى الدكتور منصور باشا في هذه الدعابة فروى أن مدرساً كهلا استقبل الأستاذ السكاكيني في حيفا من عدة سنين بخطبة قال فيها إنه سمع عاطر الثناء على فضله وأدبه من الرحومة حماته ، وكانت صغرى تلميذات الأستاذ في دار المعلمات ... ثم قال إن الأستاذ سكاكيني يحق

عمره لأنه يدين بفلسفة القوة فى كل أمر من الأمور؛ فهو يتناوى الشيخوخة ويكره أن ينتمى إليها أو يذكر بها ؛ فإذا نظر من خلال فلسفته إلى اللغة فإنه لا يروقه منها إلا ما اتسم بالقوة والسلامة . وأفاض بعد ذلك فى بيان جهوده فى الإصلاح العلمى ومكانته فى عالم الأدب واللغة .

وكان الدكتور منصور فهمى باشا قد قال فى مستهل كلمته إن حلول السكاكينى ، وهو من أهل القدس ، محل الشيخ مصطفى عبد الرازق فيه ما يبشر بأن بركة فلسطين ستلتقى بالآثار المباركة لسلفه .. ولكنه لم يلبث بعد هذا الكلام أن رق فى مداعبة معلم الغابرين والحاضرين ، ومربى الجموات الفضليات ...

وألقى بعد ذلك الأستاذ السكاكينى كلمة طلية أودعها كثيراً من النظرات الفلسفية الرائعة ، وقد قال فى أولها : إذا كنتم تقيسون العمر بالسنين فقد بلغت من الكبر عتيا ، وإذا كنتم تقيسونه بالأعمال فأنا لا أزال فى دور الطفولة ، وإذا كنتم تقيسونه بما يلقاه المرء من الهناء والسرور فإنى لم أولد

ثم أخذ فى الحديث عن الشيخ مصطفى عبد الرازق فحلل صفاته ومواهبه تحليلا وافياً وأفاض عليه مما هو أهله من الثناء والتمجيد ، ولكنه جنح فى آخر الأمر إلى عبارات مألوفة فى التقريظ والمبالغة ؛ إذ قال : لو لم يسبقه الخليل لكان أول من وضع العروض، ولو لم يسبقه أرسطو لكان أول من وضع المنطق، ولو لم يسبقه ابن خلدون لكان أول من وضع علم الاجتماع. واستمر فى هذه الفروض ، ماراً بعديد من العلوم والمعارف وأوائل واضعيها ...

كشكول الأسبوع

* وجه خمسمائة من أقطاب الفكر فى فرنسا ، نداء إلى هيئة الأمم المتحدة بأن تكافح الحرب وتعتبرها عملا غير مشروع فى حل المشاكل . وقد كتب الأستاذ توفيق الحكيم يقترح على رجال الأدب والفكر فى مصر ان يحذوا حذوهم .

* انتهى فى هذا الأسبوع مؤتمر اليونسكو الثالث ببيروت ، وقد تقرر أن يعقد المؤتمر الرابع سنة ١٩٤٩ فى باريس ، والخامس سنة ١٩٥٠ فى فلورنسا .

* وصل إلى القاهرة يوم الأحد الماضى أعضاء المجلس التنفيذى لليونسكو ، وقد دعاهم معالى وزير المعارف فى المساء إلى حفلة شاى فى (شبرد) ودعا إليها الدكتور طه حسين بك .

* كتب الأستاذ كامل منصور بجريدة البلاغ مقالا قال فيه إن أساتذة كلية الآداب تنكروا للدكتور طه حسين بك وهم صنائعه . وقد استدعاه عميد الكلية وأمر بالتحقيق معه باعتباره خريج الكلية ومنتسباً إلى قسم الدراسات العليا بها . وقد أجرى التحقيق معه فعلا ، ورفع الأمر إلى مدير الجامعة توطئة لمحاكمته .

* اختارت الإدارة الثقافية بالجامعة العربية ، بعض الأساتذة وتعاقدت معهم على العمل فى ترجمة أمهات الكتب العالمية ، وستبدأ بترجمة كتاب الآداب العربية للمستشرق بروكلمان .

* سجلت الإدارة الثقافية الأناشيد التى اختارتها مما قدم إليها فى مسابقتها ، وأخرجت عدة نسخ مسجلة لكل نشيد منها ، لكى توزع على دور الإذاعة العربية كلها . وعلى ذلك سيذاع من هذه الأناشيد ما ليس لصاحبه « واسطة » فى الإذاعة المصرية — من بقية الإذاعات العربية . . .

نظرات في أدبنا المعاصر :

أذاعت محطة لندن العربية يوم الجمعة الماضى حديثاً للدكتور طه حسين بك عنوانه « نظرات فى أدبنا المعاصر » قال فيه إن الأدب العربى الحديث فى مصر مر بثلاث مراحل ، الأولى مرحلة الحرية التى دفع إليها الوعى الوطنى بعد الحرب العالمية الأولى ، وكان الأدب فى هذه المرحلة من حيث علاقته بالشعب ذا صبغتين اتصالية وانفصالية ، فكان الأدباء متصلين بالشعب حين يعبرون عن مطالبه وحقوقه السياسية ، وكانوا منفصلين عنه حينما كانت تتعلق كتابتهم ببعض النواحى الدينية والاجتماعية ، ولكن الشعب لم يلبث بعد ذلك أن تطورت أفكاره وأصبح يستسيغ ما كان ينكره. والمرحلة الثانية تبدأ من حوالى سنة ١٩٣٠ حين مال السياسيون إلى أخذ الأمور بالرفق والاعتماد فى

حل المشاكل على مضى الوقت ، فى ذلك الحين بدأ الأدباء أيضاً يتراجعون فى ميدان الحرية الذى كانوا فيه يركضون ، ويحاسبون أنفسهم فيما يكتبون قبل أن تحاسبهم السلطات ، فاعترى الجمود الأدب ، ولا يزال راسياً عليه . والمرحلة الثالثة جاءت بعد الحرب العالمية الثانية ، وفيها امتداد لجمود المرحلة الثانية ولكنها تتميز بنزوع الأدباء إلى الكتابة فى الحال الاجتماعية من حيث تصوير مظاهر الشقاء ومعالجة الأعداء الثلاثة ، الجهل والفقر والمرض ؛ وهو تصوير يبدو قاتماً لسوء الحال التى يصورها ، ويغلب التشاؤم على الأدب لذلك . وهناك مع هذا أدباء هربوا من ذلك الجمود ومن هذا الأدب الاجتماعى البائس ، إلى التاريخ : فهيكل يكتب فى حياة محمد وحياة الخلفاء ، والعقاد يؤلف العبقريات ، ويتجاوزها إلى التأليف فى الإله ، وطه حسين (المتكلم لا يزال الدكتور طه) يكتب على هامش السيرة ويتجاوز ذلك إلى عثمان وأحلام شهرزاد . وذلك لأن الأديب يشعر بالحاجة إلى الراحة ، وقد وجد أدباؤنا راحتهم فى التاريخ .

بقية المراسيين :

هناك من كبار أدبائنا — غير من ذكرهم الدكتور طه — من هربوا من الأدب كله إلى الرد على رسائل القراء الشاكين من مصلحة التنظيم ، وحل معضلات الحب التى تعرض لبعض الشبان والفتيات . .

الشخصية والجريمة :

فى يوم الجمعة الماضى انعقدت مناظرة بقاعة بورت التذكارية موضوعها « الشخصية والجريمة » اشترك فيها الدكتور أمير بقطر والأستاذ سلامه موسى والسيدة سمية فهمى والأستاذ مظهر سعيد . وقد دارت المناقشة بينهم فى الإجابة عن هذه الأسئلة : ما ذا يقصد بالشخصية وبالجريمة ؟ وهل الشخصية موروثة أو مكتسبة ؟ وهل يورث الإجرام أو يكتسب ؟ وإلى أى حد ينبغى أن يعفى المجرم من المسؤولية ؟

وأجمل ما اتفقوا عليه أن الشخصية هى مجموعة الصفات الجسمية والوجدانية والأخلاقية وتفاعلها ، وأن الشخصية الحسنة هى التى يلائم صاحبها بين تصرفاته وبين المجتمع ويتحمل تبعة أعماله ، والسيئة هى غير الملائمة المتخففة من المسؤولية ؛ وأن كلا من الشخصية والإجرام يتكون من الوراثة ومن البيئة ، وقد اختلف المتناظرون فى أيهما — الوراثة والبيئة — أكثر أثراً وإن كانوا متفقين على وجودهما فى الشخصية والجريمة .

وقد اختلفوا فى تعريف الجريمة ، فبدأت السيدة سمية بأن الجريمة لا حقيقة لها ، لأن ما يعتبره بعض البلاد جريمة قد لا يعتبره كذلك بلد آخر ، وما يستنكر ارتكابه فى زمن قد يستساغ فى زمن آخر ، ومثلت لرأيها بفظائع الحرب ومعاونة العلماء على استحداث المدمرات التى آخرها القنبلة الذرية ، مما يوصف بالبطولة والوطنية ، وهو فى الواقع وحشية منكرة . ووافقها الأستاذ سلامة قائلا إن الجريمة تتبع العرف وإنها ليست إلا الأعمال التى لا يقرها المجتمع . وخالفهما الدكتور بقطر والأستاذ مظهر ذاهبين إلى أن الجريمة كل تصرف يخرج على النظام ويقع منه ضرر على الفرد والجماعة وهى تكون فى زمن معين ومكان محدد . واشتد الخلاف بينهم عندما عرضوا للسؤال الرابع وهو الخاص بإعفاء المجرم من المسؤولية ، فقالت السيدة سمية والأستاذ مظهر بوجوب النظر فى حال المجرم من حيث نوع شخصيته ، فلا يعاقب ذو الشخصية المريضة كالذى يسمى « السيكوباتى » وغيره مما كونته ظروف البيئة تكويناً سيئاً ، وخالفهما الدكتور بقطر والأستاذ سلامة ، فقال الثانى إن المجرم من أى نوع متأثر فى إجرامه بالوراثة والبيئة على اختلاف تقدير حظه من كل منهما ، فكل مجرم لا يد له فيما يرتكب إذا أخذنا بقاعدة الإعفاء من الإجرام الاضطرارى . وقال الدكتور بقطر إنه لاحظ فى أثناء وجوده أخيراً بأمريكا ، أن الجرائم هناك قد كثرت بفضل علماء النفس الذين يعللون دوافع الإجرام تعليلا يعفى المجرمين من العقاب أو يخففه عنهم ، ويفسح القضاة لهذه التحليلات النفسية ، ويصدرون أحكامهم بناء عليها .

تعقيب :

لقد تبينت فى خلال هذه المناظرة بالمشاهدة والمثل العملى — أن العامية لا تصلح أبداً لغة للأفكار العلمية ، وذلك أن المتناظرين وخاصة السيدة سمية فهمى والأستاذ سلامة موسى ، كانوا يلجئون إلى التعبير العامى فلا يسعفهم فى إبراز ما يجول بخواطرهم ، فيستنجدون بالتعبير الفصيح ، فمن واتاه بلغ به ، ومن استعصى عليه اضطرب وملكه العى ، وقد وقعت السيدة من ذلك فى حرج شديد ، وإن بدا — على رغم تعثر لسانها — تمكنها من دقائق الموضوع ؛ وقد كانت تشكو من ضيق الوقت وعدم اتساعه